

الرسالة التي أرسلها إليّ أستاذي وصديقي التاريخي الأديب السوري إنعام الجندي يروي لي فيها بعض أحداث حياته المأساوية ويقدم لي بعض المعلومات العجيبة الغريبة عن الأحداث التي كانت تجري في المنطقة أبقيتها كما هي احتراماً له ولمبدأ حرية الرأي - 1993:

الحبيب كريم،

تمنيت اللقاء معك والحبيب محمد دكروب. لكن الظروف حالت دون ذلك. أنتما صديقاً عهد تميز رغم قسوة الزمن علينا بمرحلة تنامي حركة العقل والفكر والسعادة بذلك النشاط المحبوب الجميل والصدقة الوطيدة رغم الاختلافات العقائدية. لن أنسى أبداً أنني أول من استحدث أول صفحة أدبية وفكرية في جريدة "الديار". في مرحلة سابقة عملت في جريدة رشيد بيضون. لم يدفع لي خلال ثلاثة أشهر قرشاً واحداً. لا أحد يعلم أنني قننت ما كان معي من دريهمات فصرت أكل كل خمسة أيام صحن حمص ورغيفان في شارع المعرض. وأذهب بعد العمل إلى شاطئ المنارة فأنام على الحصى. ذات مرة قعدت على عتبة لأستريح قليلاً فغفوت من التعب. في الفجر أيقظني أحد موظفي الشارع: يا أخ أرجو أن تزح قليلاً لأنظف محلك!

ما هم، لم أشعر بالأسى. كنت عزمت على تحمل كل الظروف والتلاؤم. قضيت في دمشق ستة أشهر في ظروف أسوأ. تركت بيروت في نهاية سنة 1946 لأن أخي سامي جاء يبلغني أن أمي مريضة جداً وتريد أن تراني. فعملت في تزفيت الطرق لأوفر أجره السفر. لم يترك لي أخي سامي قرشاً واحداً. وجدت أمي في أفضل حال، ولم تصب بأي عارض. تُركت دون عمل ومال. في تلك الفترة جاء الحبيب علي سلامة لزيارتي. لا أدري كيف تدبرت أمري حتى لا يعرف سوء حالي.

أمر آخر أريد ذكره. حاولت مع عدة دور نشر طبع روايتي. صارحني أحدهم: روايتك خطيرة جداً ولن تجرؤ أي دار على نشرها أو توزيعها. كنت أرسلتها لدار الرئيس فكتبت إليها أكثر من رسالة. واتصلت هاتفياً أكثر من خمس مرات ولم يجب صاحب الدار. أرسلت فاكسين ولم يجب. مضطر للسفر دون طباعة الرواية لأنني أعاني من أمور في القلب ولا أستطيع أن أتعالج هنا. فالطبابة غالية جداً. وأنا مضمون في فرنسا وطبيب القلب قريب من بيتي.

والآن اسمح لي يا صديقي بأن أعود إلى ما تضمنته رسالتي التي لن تصلك. وإن كنت لا أتذكر كل المواضيع.

1. في الحوار الذي أجراه معك زاهي وهبي ذكرت أن الرئيس صدام حسين شهر الحرب على إيران باتفاق مع أميركا. أذكرك بما يلي. وتستطيع الاعتماد على الإنترنت علك تجد جواب صدام على دعوة مندوبي الدول في المؤتمر الإسلامي الذي عقد في الرياض خلال الحرب، إلى التراجع إلى الحدود لعقد صلح بين الدولتين. نكر

صدام المندوبين أنه أرسل لكل دولة ولهيئة الأمم ومجلس الأمن وجامعة الدول العربية، أرسل عددًا كبيرًا من الرسائل يشكو الاختراقات التي كان يقوم بها الأميرال مدني قائد المارينز الإيراني فلم يجب أحد. فلما تجاوز ما احتلته إيران من أرض العراق أكثر من اثني عشر كيلو متر مربع اضطر العراق لدخول الحرب. مع ذلك استجاب العراق لطلب المؤتمر وتراجع. فكانت عملية الغدر في المحمرة.

2. تذكر أن الشاه اتصل بالجزائر لعقد لقاء بينه وبين الرئيس العراقي وجرى اللقاء. وقد اتفقا على تسوية مشاكل الحدود لتفادي الطرفان أي حرب.

3. من الإشاعات أن السفارة الأميركية إبريل غلاسبي التقت الرئيس العراقي وقالت له: تستطيع احتلال الكويت. وكان الرئيس قد أعدّ تسجيل الحوار وقد أعطى نسخة منه للسفيرة. أنا نفسي نشرت الحوار في أمريكا وتحديث السفارة أن تنشر الحوار إذا كانت صادقة فيما نشر من كذب عن احتلال الكويت.

4. هل اطلعت يا صديقي على جلستي اللقاء والذي أجراه سامي كليب مع الرئيس الإيراني بني صدر وذكر فيه:

أ. أن قصة طائرات الهليكوبتر التي جاء بها الأميركيون لإنقاذ الرهائن أذكوبة تدميرها مع القوة التي تحملها. وقال بني صدر: لقد اتفقنا مع الأميركيين على تدمير بعض الطائرات التي زودتنا بها واشنطن. فهل قتل أميركي فيها؟.

ب. صفقة الأسلحة الصهيونية التي أرسلت إلى إيران. يقول بني صدر: كيف نتعامل مع الصهاينة؟ رد الخميني: أتعاون مع الشيطان ضد الحكم الكافر في العراق!.. وكان الخميني صرح وهو في طريق العودة من فرنسا: أول ما سأفعله هو القضاء على الحكم الكافر في العراق (التصريح مسجل). كما ألقى بني صدر ويزدي وغيرهما خطابًا بالمعنى ذاته!

ج. جاءني محمود الجندي (مدير أعمال عدنان الخاشقجي) وهو من اشترى صفقة الأسلحة لإيران بواسطة الضابط الإسرائيلي. والخاشقجي هو الذي كلفته السعودية بذلك الأمر. ودفعت ثمانية بالمائة من ثمنها. وحسنت إسرائيل الباقي من الثمن. الخاشقجي يتمنى عليك أن تذهب إلى العراق لتتقنع إخوانك بالسماح له لزيارة العراق ليفهمه أن السعودية أرسلت الصفقة إلى إيران لإطالة أمد الحرب حتى تضعف أكثر فأكثر. وقلت: أنا لا أعرف الخاشقجي ولا أريد معرفته، وقل له إن العراق إذا قبض عليه فسيقطعه إربًا إربًا.

نسيت أن اذكر أن الكويت دعت القوات الأميركية بأمر من بوش الأب لتطويق العراق وضربه، وإن العراق حاول المستحيل فأرسل سعدون حمادي إلى الكويت والسعودية ومصر لإلغاء طلب القوات الأميركية. لكن قبل وصول القوات الأميركية إلى الكويت سبقها العراق بدخول الكويت. فاضطرت القوات الأميركية

للنزول في السعودية باعتراف وزير الدفاع السعودي. ويعرف البرلمان الأوروبي بذلك واعترافه مسجل.
5. نعتاً بمقابلتك يا صديقي صدام حسين بالديكتاتور. أنت حر فيما تعتقد. غير أنني أعرض بعض منجزاته:

أ- أنشأ أول مدرسة للتكنولوجيا بدأت عام 1976 بستة طلاب، وخمسين عالمًا مدرسًا،
أعرف إحدى الطالبات. عدد علماء العراق قبل الغزو الأميركي خمسة آلاف!
ب- تأمين التعليم لكل طالب وراتب لمصروفه الخاص حسب صفه.
ج- تأمين الطبابة وجعلها مجانية. ومن لا علاج له في العراق ترسله الدولة على حسابها للخارج.

د- لكل من ليس له بيت، بيت للسكن لا للتجارة، ويستطيع توريثه لأبنائه شرط أن يسكن فيه.

هـ- أعطى للأكراد ما لا يعطيه الاتحاد السوفياتي للأقليات.

و- ورد في أول بنود الدستور: شعب العراق يتكون من "قوميتين عربية وكردية".
بالمناسبة أكراد العراق اليوم ليسوا أكراد صلاح الدين، الكرد قبائل وعشائر من شرق آسيا. أتى بالأوائل منهم الخليفة العباسي ليتخلص من هيمنة الترك (وهؤلاء قبائل) فلما استعاد الترك سيطرتهم نزح الكرد إلى شرق تركيا الذي كان جزءاً من أرمينيا. أما كرد اليوم فقد جاؤوا مع هولاء وتيمورلنك. فلما جرت المذابح ضد الأرمن والأكراد لجأوا إلى العراق. غير أنهم قاموا في عهد الملك غازي بمحاولات تمرد بأمر من الإنكليز فضربهم بكر صدقي ضربة قاسية. وهو ينتمي إلى كرد صلاح الدين. وللمناسبة طالب أكراد إيران بنوع من الإدارة الذاتية (وهم ثمانية ملايين) فدمر الخميني نصف "مهباد" التي تأسست فيها أول دولة كردية في مطالع الأربعينات. ثم أبيدت.

ز- منذ العام 1974 بدأ العراق بخطة الانفجار العمرانية. فكان العراق مشروع واحد من جنوبه إلى شماله. وقد أعطى فرنسا نصف المشروع لتنفيذه. ثمانون ألف فرنسي كانوا يعملون في العراق. لكن ميتران (الاشتراكي جداً) أفسد كل شيء بموافقه على الحرب الأمريكية النفطية ضد العراق. وقامت بها السعودية والكويت والإمارات حتى بلغ سعر برميل النفط 7 دولار. ميتران هذا قال في إحدى خطبه "خير من يدافع عن مصالح الغرب في الشرق الأوسط هو أميركا".

هل تعلم يا صديقي أن العراق كان يبيع فرنسا نفطاً بسعر مخفض! وأنه كان يزود الأردن بالنفط مجاناً، ولبنان بسعر مخفض جداً أو مجاناً لا أدري، وأنه كان يزود الفصائل الفلسطينية بمخصصات شهرية دون تمييز بين من يؤيد ومن يعارض. ولعلك تعرف يوم جاء مندوب من العراق إلى بيروت بدعوة من الفصائل

واجتمع بهم في فندق الكارلتون فطالبوه بمبلغ ضخّم لتأمين خطة مشتركة. فقال المندوب: تدلّل. وكنت موجوداً.

نسيت أن أذكر في البند الخامس:

1. تكافؤ الفرص دون تمييز.

2. على الدولة إيجاد عمل للجميع. فمن لم تجد الدولة له عملاً تدفع له مائتا دينار أي ما

يساوي 750 دولار. ويزداد الراتب شهرياً حسب أفراد العائلة إذا كانوا على نفقة رب البيت. فإذا حسبنا

أن كل عراقي مؤمن له البيت والطبابة والتعليم (مع كل مستلزمات الطالب). أدركنا أن المبلغ أكثر من

كافٍ (نسيت أن أذكر أن البيت يقدم لكل ساكن في العراق من العراقيين والعرب).

إلى لقاء قريب واسلم لي.

إنعام الجندي

باريس 1993

ملاحظة:

لم أتمكن من الرد على رسالة أستاذي وصديقي إنعام لعدم وجود عنوانه لديّ. وبعد فترة من الزمن

فاجأني بزيارته إلى بيروت وكنت سعيداً بذلك. والتقينا وجرى بيننا نقاش واسع وطويل حول ما ورد في

رسالته في الاتفاق وفي الاختلاف. واستعدنا سنوات اللقاء الأول بيننا في عام 1944 عندما جاء إلى

مدينة صور ليدرس مادة الأدب العربي في الكلية الجعفرية. وكنت مع عدد من أصدقائي من طلابه.

ونشأت بيننا نحن طلابه صداقة حميمة. واستمرت العلاقة بيننا منذ ذلك التاريخ وكان له دور مهم في

تربيتنا الثقافية والسياسية باسم قوميتنا العربية المشتركة.